

تراجم لبعض مشاهير المفسرين

« ابن عباس »

نسبه وحياته : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ ، أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية ، ولدَ وبنو هاشم بالشَّعب قبل الهجرة بثلاث - وقيل بخمس - والأول أثبت .

وقد حج عبد الله بن عباس سنة قتل عثمان بأمر منه ، وكان على الميسرة يوم صفين ، وولاه على البصرة ، فلم يزل ابن عباس عليها حتى قُتل على فاستخلف على البصرة عبد الله بن الحارث ومضى إلى الحجاز ، وتوفي بالطائف سنة خمس وستين - وقيل : سبع : وقيل : ثمان - وهو الصحيح في قول الجمهور ، قال الواقدي : لا خلاف عند أئمتنا أنه ولدَ بالشَّعب حين حصرت قريش بني هاشم ، وأنه كان له عند موت النبي ﷺ ثلاث عشرة سنة .

منزلته وعلمه : وابن عباس ترجمان القرآن ، وحبر الأمة ، ورئيس المفسرين ، فقد أخرج البيهقي في الدلائل عن ابن مسعود قال : « نَعِمَ ترجمان القرآن ابن عباس » ، وأخرج أبو نعيم عن مجاهد قال : « كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمه » ، وأخرج ابن سعد بسند صحيح عن يحيى بن سعيد الأنصاري : « لما مات زيد بن ثابت قال أبو هريرة : مات حبر هذه الأمة ، ولعل الله أن يجعل في ابن عباس خلقًا » .

وقد أحرز ابن عباس منزلته بين كبار الصحابة على صغر سنه بعلمه وفهمه تحقيقًا لدعوة رسول الله ﷺ ، ففي الصحيح عنه أن النبي ﷺ ضمَّه إليه وقال : « اللَّهُمَّ علِّمه الحكمة » ، وفي معجم البغوي ، وغيره عن عمر أنه كان يقرب ابن عباس ويقول : « إني رأيتُ رسول الله ﷺ دعاك فمسح رأسك ، وتفل في فيك » ، وقال : « اللَّهُمَّ فقهه في الدين ، وعلِّمه التأويل » ، وأخرج البخاري من طريق سعيد

ابن جبیر ، عن ابن عباس قال : كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجدَ في نفسه ، فقال : لِمَ يدخل هذا معنا وإن لنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه من علمتم ، فدعاهم ذات يوم فأدخلني معهم ، فما رأيت أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليريهم ، فقال : ما تقولون في قول الله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ (١) ؟ فقال بعضهم : أُمِرْنَا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ، فقال لي : أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا ، فقال : ما تقول ؟ فقلت : هو أَجَلُ رسول الله ﷺ أعلمه له ، قال : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ فذلك علامة أجلك ، ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ، إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (٢) فقال عمر : لا أعلم منها إلا ما تقول .

تفسيره : وقد ورد عن ابن عباس في التفسير ما لا يُحصى كثرة ، وجمع ما نُقل عنه في تفسير مختصر ممزوج يسمى « تفسير ابن عباس » وفيه روايات وطرق مختلفة ، ولكن أحسن الطرق عنه طريق علي بن أبي طلحة الهاشمي عنه ، واعتمد على هذه البخاري في « صحيحه » ، ومن جيد الطرق طريق قيس بن مسلم الكوفي عن عطاء بن السائب .

وفي التفاسير الطوال التي أسندوها إلى ابن عباس مجاهيل ، وأوهى طرقه طريق الكلبي عن أبي صالح ، والكلبي هو أبو النصر محمد بن السائب المتوفى سنة ١٤٦ هـ ، فإن انضم إليه رواية محمد بن مروان السدي الصغير المتوفى سنة ١٨٦ هـ فهي سلسلة الكذب ، وكذلك طريق مقاتل بن سليمان بن بشر الأزدي ، إلا أن الكلبي يفضل عليه لما في مقاتل من المذاهب الرديئة .

وطريق الضحَّاك بن مزاحم الكوفي عن ابن عباس منقطعة ، فإنه لم يلق ابن عباس ، وإن انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمار فضيفة لضعف بشر ، وإن كان من رواية جوير عن الضحَّاك فأشد ضعفاً ، لأن جويراً شديد الضعف متروك . وطريق العوفي عن ابن عباس أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيراً ، والعوفي ضعيف ليس بواه ، وربما حسن له الترمذي .

(١) النصر : ١

(٢) النصر : ٣

وبهذا يستطيع القارئ أن ينقّب عن الطرق ويعرف منها الجيد المقبول من الضعيف أو المتروك ، فليس كل ما روى عن ابن عباس بالصحيح الثابت ، وقد ذكرنا مزيداً من التفصيل عن ذلك عند الكلام عن تفسيره .

* * *

مجاهد بن جبر

نسبه وحياته : هو مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج المخزومي المقرئ ، مولى السائب بن أبي السائب ، روى عن عليّ ، وسعد بن أبي وقاص ، والعبادلة الأربعة ، ورافع بن خديج ، وعائشة ، وأم سلمة ، وأبي هريرة ، وسراقة بن مالك ، وعبد الله بن السائب المخزومي ، وخلق كثير ، وروى عنه عطاء ، وعكرمة ، وعمرو بن دينار ، وقتادة ، وسليمان الأحول ، وسليمان الأعمش ، وعبد الله بن كثير القارئ ، وآخرون ، وكان مولده سنة ٢١ هـ (إحدى وعشرين) في خلافة عمر ، ومات سنة اثنتين أو ثلاث ومائة ، وقال يحيى القطان : مات سنة ١٠٤ هـ (أربع ومائة) .

منزله : ومجاهد رأس المفسرين من طبقة التابعين حتى قيل إنه كان أعلمهم بالتفسير ، وقد أخذ تفسيره عن ابن عباس ثلاثين مرة ، وعنه أيضاً قال : عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات ، أقف عند كل آية وأسأله عنها ، فيمّ نزلت ، وكيف كانت ؟ وقال الثوري : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به ، قال ابن تيمية : ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري ، وغيرهما من أهل العلم .

وقال أبو حاتم : مجاهد لم يسمع عن عائشة ، حديثه عنها مرسل ، وقال : مجاهد عن سعد ومعاوية وكعب بن عجرة مرسل ، وقال أبو نعيم : قال يحيى القطان : مراسلات مجاهد أحبُّ إليّ من مراسلات عطاء ، وقال قتادة : أعلم من بقي بالتفسير مجاهد ، وقال ابن سعد : كان ثقة فقيهاً عالماً كثير الحديث ، وقال ابن حبان : كان فقيهاً ورعاً عابداً متقناً ، وقال الذهبي في آخر ترجمته : أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به ، وقال : قرأ عليه عبد الله بن كثير .

وإذا كان الثورى يقول : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به ، فليس معنى هذا أن نأخذ كل ما نُسبَ إلى مجاهد ، فإن مجاهداً كغيره من الرواة الذين نُقِلَ عنهم ، وقد يكون من النقلة عنه الضعيف الذى لا يوثق به ، فلا بد من التحرى وثبوت سلامة السند ، شأنه فى ذلك شأن ابن عباس فيما رُوِيَ عنه .

* * *

الطبرى

نسبه وحياته : هو محمد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير أبو جعفر الطبرى ، الأملى الأصل ، البغدادى المولد والوفاة - ولد سنة ٢٢٤ هـ (أربع وعشرين ومائتين) ، وتوفى سنة ٣١٠ هـ (عشر وثلاثمائة) ، وكان عالماً فذاً كثير الرواية ذا بصيرة بالنقل والترجيح بين الروايات ، وله باع طويل فى تاريخ الرجال وأخبار الأمم .

تصانيفه : صَنَّفَ ابن جرير من الكتب : جامع البيان فى تفسير القرآن ، وتاريخ الأمم والملوك وأخبارهم ، والآداب الحميدة والأخلاق النفيسة ، وتاريخ الرجال ، واختلاف الفقهاء ، وتهذيب الآثار ، وكتاب البسيط فى الفقه ، والجامع فى القراءات ، وكتاب التبصير فى الأصول .

تفسيره : وكتابه فى التفسير « جامع البيان فى تفسير القرآن » أَجَلُّ التفسير وأعظمها ، وهو المرجع الأصيل للمفسرين بالآثر ، وابن جرير يورد التفسير مسنداً إلى الصحابة والتابعين وأتباعهم ، ويتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض ، وقد أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم يؤلَّفَ فى التفسير مثله ، قال النووى فى « تهذيبه » : كتاب ابن جرير فى التفسير لم يُصنَّفَ أحد مثله ، ويمتاز ابن جرير بالاستنباط الرائع ، والإشارة إلى ما خَفِيَ فى الإعراب ، وبذلك كان تفسيره فوق أقرانه من التفسير ، وأكثر ما ينقل ابن كثير عن ابن جرير .

* * *

ابن كثير

نسبه وحياته : هو إسماعيل بن عمر القرشى ابن كثير البصرى ، ثم الدمشقى ، عماد الدين أبو الفداء الحافظ المُحدِّث الشافعى .

ولد سنة ٧٠٥ هـ (خمس وسبعمائة) ، وتوفي سنة ٧٧٤ هـ (أربع وسبعين وسبعمائة) ، بعد حياة زاخرة بالعلم ، فقد كان فقيهاً متقناً ، ومُحدثاً بارعاً ، ومؤرخاً ماهراً ، ومفسراً ضابطاً ، قال فيه الحافظ ابن حجر : « إنه كان من مُحدثي الفقهاء » ، وقال : « سارت تصانيفه في البلاد في حياته ، وانتفع بها بعد وفاته » .

تصانيفه : ومن تصانيفه : البداية والنهاية في التاريخ ، وهو من أهم المراجع للمؤرخين ، والكواكب الدراري في التاريخ ، انتخبه من البداية والنهاية ، وتفسير القرآن ، والاجتهاد في طلب الجهاد ، وجامع المسانيد ، والسنن الهادي لأقوم سنن ، والواضح النفيس في مناقب الإمام محمد بن إدريس .

تفسيره : قال فيه السيد محمد رشيد رضا : « هذا التفسير من أشهر كتب التفسير في العناية بما رُوِيَ عن مفسري السلف ، وبيان معاني الآيات وأحكامها ، وتحامى ما أطال به الكثيرون من مباحث الإعراب ونكت فنون البلاغة ، أو الاستطراد لعلوم أخرى لا يُحتاج إليها في فهم القرآن ، ولا التفقه فيه ، ولا الاعتاض به .

ومن مزاياه العناية بما يسمونه تفسير القرآن بالقرآن ، فهو أكثر ما عرفنا من كتب التفسير سرداً للآيات المناسبة في المعنى ، ويلى ذلك فيه الأحاديث المرفوعة التي تتعلق بالآية وبيان ما يُحتج به منها ، ويليه آثار الصحابة وأقوال التابعين ومن بعدهم من علماء السلف .

ومنها تذكيره بما في التفسير المأثور من منكرات الإسرائيليات وتحذيره منها بالإجمال ، وبيانه لبعض منكراتها بالتعيين ، ويا ليته استقصى ذلك أو ترك إيراد ما لم تتوفر فيه داعية التمهيص والتحقيق » ١ . هـ .

* * *

فخر الدين الرازي

نسبه وحياته : هو محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري الطبرستاني الرازي فخر الدين المعروف بابن الخطيب الشافعي الفقيه .

ولد بالري سنة ٥٤٣ هـ (ثلاث وأربعين وخمسمائة) ، وتوفي بهراة سنة ٦٠٦ هـ (ست وستمائة) - ودرس العلوم الدينية والعلوم العقلية ، فتعمق في

المنطق والفلسفة ، وبرز في علم الكلام ، وله في هذا كله الكتب والشروح والتعليقات ، حتى عدوه من فلاسفة عصره ، ولا تزال كتبه مراجع هامة لمن يسمونهم بالفلاسفة الإسلاميين .

تصانيفه : ولفخر الدين الرازي تصانيف كثيرة ، منها : مفاتيح الغيب في تفسير القرآن ، وتفسيره أسرار التنزيل وأنوار التأويل ، وإحكام الأحكام ، والمحصل في أصول الفقه ، والبرهان في قراءة القرآن ، ودرة التنزيل وغرة التأويل في الآيات المتشابهات ، وشرح الإشارات والتنبيهات لابن سينا ، وإبطال القياس ، وشرح القانون لابن سينا ، والبيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان ، وتعجيز الفلاسفة ، ورسالة الجوهر ، ورسالة الحدوث ، وكتاب الملل والنحل ، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين في علم الكلام ، وشرح المفصل للزمخشري .

تفسيره : وقد أثرت العلوم العقلية على الرازي في تفسيره ، فمزجه بخليط من الطب والمنطق والفلسفة والحكمة ، وخرج به عن معاني القرآن وروح آياته ، وحمل نصوص الكتاب ما لم تنزل له من مسائل العلوم العقلية واصطلاحاتها العلمية ، ففقد كتابه بهذا روحانية التفسير وهداية الإسلام ، ولذلك قال بعض العلماء : « فيه كل شيء إلا التفسير » كما ذكرنا آنفاً .

* * *

الزمخشري

نسبه وحياته : هو أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري - وُلِدَ في السابع والعشرين من شهر رجب سنة ٤٦٧ هـ (سبع وستين وأربعمئة) بزمخشري ، وهي قرية كبيرة من قرى خوارزم ، وتلقى العلم في بلاده ، ورحل إلى بخارى في طلبه ، وأخذ الأدب عن شيخه منصور أبي مضر ، ثم رحل إلى مكة وجاور بها زماناً ، فقليل له : « جار الله » وبها ألّف كتابه في التفسير « الكشف في حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل » وتوفي الزمخشري سنة ٥٣٨ هـ (ثمان وثلاثين وخمسمائة) ، بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة ، ورثاه بعضهم بأبيات منها :

فأرض مكة تدرى الدمع مقلتها حزناً لفُرقة جار الله محمود

علمه ومؤلفاته : والزمخشري إمام من أئمة اللغة والمعاني والبيان ، وكثيراً ما يجد القارئ في كتب النحو والبلاغة استشادات له من كتبه للاحتجاج بها ، فيقولون : قال الزمخشري في كشافه ، أو في أساس البلاغة ، وهو صاحب رأى وحجة في كثير من مسائل العربية ، وليس من هؤلاء النفر الذين ينهجون نهج غيرهم فيجمعون وينقلون ، ولكنه صاحب رأى يقتفى غيره أثره وينقل عنه ، وله تصانيف في الحديث والتفسير والنحو واللغة والمعاني والبيان وغير ذلك ؛ منها : كتابه في تفسير القرآن « الكشاف » ، والفائق في تفسير الحديث ، والمنهاج في الأصول ، والمفصل في النحو ، وأساس البلاغة في اللغة ، ورؤوس المسائل الفقهية .

مذهبه وعقيدته : والزمخشري حنفي المذهب ، معتزلي العقيدة ، يؤوّل الآيات وفق مذهبه وعقيدته بلحن لا يدركه إلا الخاصة ، ويسمى المعتزلة : إخوانه في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية .

تفسيره : وكتاب الكشاف للزمخشري من أشهر كتب المفسرين بالرأى ، الماهرين في اللغة ، وينقل عنه الألوسي ، وأبو السعود ، والنسفي ، وغيرهم من المفسرين بدون نسبة إليه ، واعتزالياته في التفسير قد تولى التنقيب عنها العلامة أحمد المنير ، وسماها بالانتصاف ، وفيها يناقش الزمخشري فيما أورده من العقائد على مذهب المعتزلة ويورد ما يقابلها ، كما يناقشه في كثير من أبواب اللغة ، وقد طبعت المكتبة التجارية بمصر « الكشاف » طبعة أخيرة رتبها مصطفى حسين أحمد ، وذيّلت بأربعة كتب ، الأول : « الانتصاف » السابق ، والثاني « الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف » للحافظ ابن حجر العسقلاني ، والثالث : « حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقي على تفسير الكشاف » ك « الانتصاف » ، والرابع : « مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف » للمرزوقي المذكور - وقد ضمّن تفسيره كثيراً من عقائد المعتزلة على طريق الإشارة ، وقد ذكرنا قبل ما نُقلَ عن البلقيني أنه قال : استخرجتُ من الكشاف اعتزالاً بالمناقش .

* * *

الشوكاني

نسبه وحياته : هو القاضي محمد بن عليّ بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني الإمام المجتهد ، ناصر السنّة ، وقامع البدعة .

وُلِدَ سنة ١١٧٣ هـ (ثلاث وسبعين ومائة وألف) في بلدة هجرة شوكان ، ونشأ بصنعاء ، فقرأ القرآن ، وأخذ يطلب العلم ، ويسمع من العلماء الأعلام ، وحفظ كثيراً من متون النحو والصرف والبلاغة ، والأصول وآداب البحث والمناظرة ، حتى صار إماماً يُشار إليه بالبنان ، وظل مكباً على العلم قراءة وتدرّساً إلى أن توفي سنة ١٢٥٠ هـ (خمسين ومائتين وألف) .

مذهبه وعقيدته : تفقه على مذهب الإمام زيد ، وبرعه فيه ، وألّف وأفتى ، وطلب الحديث ، وفاق فيه أهل زمانه حتى خلع ربة التقليد ، وصار مناصراً للسنّة ومناوئاً لأعدائها ، وكان يرى تحريم التقليد حتى ألّف في ذلك رسالة أسماها « القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد » .

مؤلفاته : له مؤلفات عديدة في شتى الفنون منها تفسيره « فتح القدير » وشرحه « نيل الأوطار على منتقى الأخبار » للمجد ابن تيمية جد شيخ الإسلام ، وهو من خير ما كُتِبَ في الحديث على أبواب الفقه ، وكتابه في الأصول « إرشاد الفحول » وفتاواه المسماة بـ « الفتح الرباني » .

تفسيره : وفتح القدير للشوكاني تفسير يجمع بين الرواية والاستنباط وفقه نصوص الآيات ، اعتمد فيه على فحول المفسرين كالنحاس ، وابن عطية ، والقرطبي ، وهو متداول في جهات كثيرة من أنحاء العالم الإسلامي .
وصلى الله على رسولنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



المراجع

- ١ - الإتقان فى علوم القرآن - للسيوطى .
- ٢ - الإصابة فى تمييز الصحابة - لابن حجر العسقلانى .
- ٣ - الأعلام - لخير الدين الزركلى .
- ٤ - إعجاز القرآن - للباقلانى .
- ٥ - البرهان فى علوم القرآن - للزركشى .
- ٦ - تفسير الطبرى « جامع البيان » - لابن جرير .
- ٧ - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير .
- ٨ - الكشاف - للزمخشرى .
- ٩ - التفسير والمفسرون - لمحمد حسين الذهبى .
- ١٠ - تهذيب التهذيب - لابن حجر العسقلانى .
- ١١ - رسالة التوحيد - لمحمد عبده .
- ١٢ - الرد على المنطقيين - لابن تيمية .
- ١٣ - التدمرية - لابن تيمية .
- ١٤ - اقتضاء الصراط المستقيم - لابن تيمية .
- ١٥ - الإكليل فى التشابه والتأويل - لابن تيمية .
- ١٦ - العقل والنقل - لابن تيمية .
- ١٧ - أعلام الموقعين - لابن القيم .
- ١٨ - أقسام القرآن - لابن القيم .
- ١٩ - إعجاز القرآن - لمصطفى صادق الرافعى .
- ٢٠ - الوحي المحمدى - للسيد محمد رشيد رضا .

- ٢١ - القاموس المحيط - للفيروزآبادى .
- ٢٢ - مفردات غريب القرآن - للراغب الأصبهاني .
- ٢٣ - روضة الناظر - لابن قدامة .
- ٢٤ - فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت - لابن عبد الشكور .
- ٢٥ - المستصفى - للغزالي .
- ٢٦ - مناهل العرفان - للزرقاني .
- ٢٧ - مباحث فى علوم القرآن - لصبحى الصالح .
- ٢٨ - النبأ العظيم - لمحمد عبد الله دراز .
- ٢٩ - منهج الفرقان فى علوم القرآن - لمحمد على سلامة .
- ٣٠ - بلاغة القرآن - لمحمد الخضر حسين .
- ٣١ - مقدمة فى أصول التفسير - لابن تيمية .
- ٣٢ - كشف الظنون عن أساس الكتب والفنون - لحاجى خليفة .
- ٣٣ - هدية العارفين - لإسماعيل البغدادي .
- ٣٤ - فى ظلال القرآن - لسيد قطب .
- ٣٥ - الفلسفة القرآنية - للعقاد .
- ٣٦ - رياض الصالحين - للنووى .
- ٣٧ - مقدمة ابن خلدون - لابن خلدون .
- ٣٨ - الأحكام - للآمدى .

* * *